

مطابقة علم الأفراس من الفلسفة :

هذا البحث يتطلب منا أولاً أن نعرف شيئاً عن الفلسفة قبل أن نعرف مكانة علم الأخلاق منها، فما يكون لنا أن نتصور هذه المكانة قبل أن نتصور الفلسفة . لذلك وعلى شيء من الاجمال نقدم بين يدي هذا البحث كلمة عن الفلسفة من نواحيها المختلفة .

كلمة فلسفة ليست عربية ولا شرقية فما معناها ، وما مر ماها ؟ يقول : « بارتلى ساتتير » في مقدمة كتاب السكون والفساد لأرسطوطاليس

« إن فيثاغورس مثل عن نفسه فأجاب بأنه « فيلسوف » وهو اسم لم يسمع من قبل » .

ويروى ابن أبي أصيبعة في كتاب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء أن « فلوطرخس » قال : « إن فيثاغورس أول من سمي الفلسفة بهذا الاسم »^(١) . وعلى ذلك يكون « فيثاغورس »^(٢) هو أول من استخدم لفظ الفلسفة بمعنى « البحث عن طبيعة الأشياء » .

وسواء أصبحت هذه الرواية ، أم صح ما يروى عن المؤرخ اليوناني « هيرودوت » من أن « كريستس » قال^(٣) لسولون : « لقد سمعت أنك جبت

(١) ح ١ ص ٤٣ طبعة المطبعة الوهبية .

(٢) فيلسوف يوناني كان في القرن السادس قبل الميلاد وكان يقول بتناسخ الأرواح

(٣) يقال إن كريستس هو قارون ، وسولون مشرع « أثيني » سنة ٥٩٤ ق . م ومن تشريعاته « لا يجب على المرأة أن تتجهز لزوجها بأكثر من ثلاثة أثواب وأمتعه قليلة الثمن خوفاً على أهلها من الفقر » .

كثيراً من البلدان متفلسفاً « أى متطلباً للمعرفة ^(١) وسواء أصبح هذا أم ذاك .
فإن الذى لا شك فيه أن كلمة « فلسفة » كلمة يونانية مشتقة من
كلمتين اثنتين :

الأولى « فيلوس » ومعناها « محبة » والثانية « سوفيا » ومعناها « الحكمة »
فيكون إذن : معنى كلمة فلسفة « محبة الحكمة » ومعنى فيلسوف « محب
الحكمة » أو هو صاحب العقل الذى يدرس الأشياء ، ويدرس نفسه والناس .
وكان اليونان الأولون الذين عُنيوا بالبحث عن حقيقة المادة التى وُجد منها
هذا الكون « كطاليس الملى » ^(٢) و « أنكسيمندر » ^(٣) و « أنكسيمينيس » ^(٤)
وغيرهم يسمون أنفسهم « حكماء » فلما جاء فيثاغورس أنكر عليهم أن يسموا
أنفسهم بهذا الاسم ، ودفعه تواضع العلماء إلى أن يستخدم لفظ « فيلسوف »
بدل كلمة « حكماء » ، تأدياً فالحكمة لله وحده .

(١) مبادئ الفلسفة تأليف ا . س . رابورت (ترجمه إلى العربية الدكتور
أحمد أمين) .

(٢) مؤسس للدرسة « الأيونية » ولد حوالى سنة ٦٣٩ ق . م وتوفى سنة
٥٤٦ ق . م أقام ردهاً من الزمن فى القطر المصرى على عهد « أمازيس » قال :
إن الماء مصدر الأشياء كلها .

(٣) ٦١١ ق . م - ٥٤٧ ق . م « تقريباً » يقال : إنه كان تلميذاً لطاليس
عاصره وعاش معه فى ملطيه . قال : إن أصل الكون مادة لا شكل لها ولا نهاية
ولا حدود .

(٤) ٥٨٨ - ٥٢٤ ق . م « تقريباً » قال : إن المادة التى يتكون
منها الكون هى الهواء .

وليس بغريب على فيثاغورس أن يحمل نفسه على هذا الأدب . فإن
صح ما يُروى عنه كان له في باب التدين قدم راسخة .

يُروى أنه كان يقول : « إن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً لا يدرك
العقل حسنه وبهاؤه ، وأن الأنفس الزكية تشتهق إليه ، وأن كل إنسان أحسن
تقويم نفسه بالتبرى من العجب ، والتعجب ، والرياء ، والحسد ، وغيرهما
من الشهوات فقد صار أهلاً لأن يُسلحق بالعالم الروحاني ، ويطلع
على ما يشاء من جواهره من الحكمة الإلهية ، وأن الأشياء الملوذة للنفس
نأتيه حينئذ إرسالاً كالألحان الموسيقية الآتية إلى حاسة السمع فلا يحتاج
الإنسان أن يتكلف لها طلباً » .

وإذا كان فيثاغورس أول من استخدم كلمة « فيلسوف » فإنك لتراه
يحدد الغاية من « الفلسفة » ومعنى « الفيلسوف » فيما يُروى عنه يقول : « حال
الناس في الحياة يسمعون فيها يُشبه حال الجمهور يتقاطرون إلى الأعياد
الرسمية ، وفي جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين إليها أغراض
مختلفة أحدهم يقصدها لبيع فيها بضائعه مدفوعاً بحب الكسب ، وآخر
لا يقوده إليها إلا حب المجد والرغبة في أن ينال قصب السبق في القوة
أو في المهارة . وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها إلا لمشاهدة
محال تلك الاجتماعات ، وعجائب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع .

كذلك في الحياة للناس الذين تضمهم الجمعية الإنسانية مشاغل متباينة .
فمنهم المجرورون بجواذب الثروة التي لا تقاوم ، وآخرون مملوك عليهم أمرهم
بالطمع في السلطان والشرف ، وهما لا ينالان إلا بالحروب الجادة
والمنافسات التي تسفك الدماء .

ولسكن الغرضى الأسمى للرجل هو إمعان النظر فيما في هذا الكون
من الجمال المتنوع . وبذلك يستحق عنوان فيلسوف .

فن الحسن أن ينظر إلى أقطار السموات الفسيحة يتتبع سير الأفلاك
التي تتحرك فيها على قدر غاية في النظام . ولسكنه لا يستطيع فهمه جيداً
إلا بالبدأ المعقول المجرد الذي يسير الكون ، ويحصي كل شيء
عدداً ومقياساً .

فالحكمة تنحصر في التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الإلهية الأبدية
الأولية التي لا تتغير .

والفلسفة ليست إلا النبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التي تسير
الناس وتصلحهم .

وسواء أكانت الغاية من الفلسفة هي كشف الحقيقة لا شيء آخر
أم كانت الغاية من الفلسفة شيئاً آخر غير كشف الحقيقة هو السعادة ،
فان الغاية التي رسمها فيثاغورس في هذه الكلمة القيمة : « العلم لذات العلم »
لا تزال لها المكان الأول عند الفلاسفة بل وفيها السعادة فقد كان
« أرسطو » يعتبر أرقى أنواع الفضائل « الفضيلة التأملية » .

وإذا كانت اللغة اليونانية قد عرفت كلمة « فلسفة » على لسان فيثاغورس
في القرن السادس قبل الميلاد فمتى عرفت اللغة العربية ؟

عرفتها اللغة العربية بعد أن ترجمت كتب اليونان ، أو هي تُترجم كتب
اليونان في عصر العباسيين ، أو في القرن الثاني لهجرة المصطفى صلوات
الله عليه .

ولا ينبغي في هذا الاستطراد عن الفلسفة لتبيين مكانة علم الأخلاق منها
أن نتعرض لمسألة كونها شرقية أم غربية . فالذي يقطع به ثقات المؤرخين
أن الفلسفة - « على معنى محاولة تفسير هذا الكون » - قد ولدت على أيدي
اليونان في آسيا الصغرى قبل الميلاد بستة أو سبعة قرون حتى لقببت
بـ « أم الفلسفة ووطن الحكمة » (١)

وأقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليوناني « الإلياذة والأوديسا »
وهما تنسبان لـ « هوميروس » الذي وُلد وعاش على شواطئ آسيا الصغرى
وفي جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام .

وسواء أكانت القصيدتان لهوميروس أم لشعراء مختلفين أشهرهم
« هوميروس » فنسبنا إليه باعتباره الجامع لهما فإن السذاجة واضحة
في قوله : فقد حاول أن يفسر الطبيعة تفسيراً يثير منك الضحك .

وإلا فكيف نفسر أن الأرض إله ، وأنها ولدت الجبال والسماء ،
ثم تزوجت من السماء المحيط بها من كل جانب فولدت « أقيانوس »
و « الأنهار » وأن أقيانوس المصدر الأول للأشياء .

وكيف نفسر أن الآلهة في قمة « الأولمب » يؤلفون حكومة ملكية
على رأسها « تزوس » لهم صفات البشر ، ولا يرعون الأمن يتقرب إليهم
كيفما كانت أخلاقه .

حقاً قول من يقول : « إن هذا الإنسان العاقل يربط وجوده بأشياء
غير معقولة » .

(١) مقدمة السكون والفساد ترجمة أستاذنا أحمد لطفي السيد ، وقصة الفلسفة
اليونانية للأستاذين أحمد أمين وزكي نجيب محمود .

يتقدم بنا الزمن قليلا حتى القرن الثامن فنسمع « هزيود »^(١) يتكلم عن الدين والأخلاق بكلام تضيق فيه دائرة الخيال وتتسع فيه دائرة العقل فمثلا يقول : « السمك ، والوحش ، والطير ، يفترس بعضها بعضاً لأن العدالة معدومة بينها » ويقول : « من يضر الغير يجلب الشر على نفسه ، عين تزوس تبصر كل شيء إن ساعة العقاب آتية لا محالة ، وإن « تزوس » يهب القوة ، ويُنزل الأقوياء . يضع الذي يطلب الظهور ، ويرفع الذي يقعد في الخفاء ، وغير ذلك كثير خلاصته أن الحق فوق القوة والإنسانية فوق الحيوانية^(٢) ويحيى « طاليس » الملطى في نحو القرن السادس قبل المسيح فيحاول تعرّف المادة الأولى التي وجد منها هذا الكون فيقول : إنها الماء ، ويأتى « فيثاغورس » بعده فيقول : إنها العدد ، وأصل العدد الواحد وأصل الكون الواحد . ولكن يأتى بعده من يقول : نعم ولكن ليس هو الواحد الحسابى ولكنه هو الواحد القهار^(٣) .

ثم يحيى بعد ذلك « سقراط » فيحول الفلسفة من السماء إلى الأرض أعنى أنه يوجه الفلاسفة إلى البحث في الإنسان وقد كان همهم محصوراً في تعرف المادة التي نشأ منها هذا الكون ، وفي المحرك الخفى لهذا العالم .

(١) نشأ في « بوبثيا » فلاحا بعيدا عن بهرج الحضارة له ديوان « الأعمال والأيام » وينسب إليه ديوان « أصل الآلهة » .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم .

(٣) صاحب هذا رأى هو « إكزنوفنس » سنة ٥٧٠ ق . م . قضى الشطر الأعظم من حياته ضارباً في مناكب الأرض . وهو بالاصلاح الدينى أشد صلة منه بالفلسفة

ولم يكن سقراط يرى أنه مخير فيما يفعل، بل كان يعتقد أنه مسير بوحى
يُملى عليه ما يقول، ويرسُم له طريق المسير، ويُطلعه على نتائج الأعمال قبل
حدوثها وهو إنما يؤدي رسالة فرضها عليه الآلهة ليس له عن أدائها حيض^(١)
أوحى إليه في معبد «ذلفي» يأتينا هذه الكلمة: «إعْرِف نفسك بنفسك»
فكانت مفتاح معرفة الإنسان، أو مفتاح الفلسفة الإنسانية.

وإلى هنا تكون الفلسفة قد اتخذت لنفسها الموضوعات الآتية:

١ — ما بعد الطبيعة، أو ما وراء المادة: ويبحث عن علة الموجودات،
وهو الذى تسميه لغة الدين «الله»

وسبب تسمية هذا القسم بـ «ما بعد الطبيعة» أن أصحاب أرسطو
وتلاميذه جمعوا أبحاثه المتعلقة بأصل الأشياء والتي تسمى «الفلسفة
المبدئية» ووضعوها بعد أبحاثه المتعلقة بالطبيعيات، ومن هذا نشأ اسم
ما بعد الطبيعة علماً على ذلك العلم

وهل سمي هذا العلم بغير هذا الاسم؟

سماه «وُلْف»^(٢) الفيلسوف الألماني «علم الموجود حقاً» تميزاً له عن
الظواهر التي تدرك بالحواس.

وسماه «ادورْد هَرْتمان» ما لا يُحس

٢ — الفلسفة الطبيعية، وسمى هذا القسم حديثاً بـ «علم الكون، وجعل
علم الطبيعة منه. وأوضح أفلاطون الفرق بين الطبيعيات وما وراء

(١) قصة الفلسفة اليونانية للأستاذين أحمد أمين، وزكى نجيب محمود ص ١٠٨

(٢) فيلسوف ألماني ١٦٧٩ - ١٧٥٤ نظم تعاليم «لينتز» وعدلها.

الطبيعة بأن الطبيعة « معرض التغير » وأما ما وراءها « فمعرض الثبات » .

٣ — الفلسفة الإنسانية وتشمل :

(أ) علم النفس

(ب) المنطق

(ح) الأخلاق

(د) الجمال

(هـ) فلسفة القانون

(و) التاريخ

(ز) علم الاجتماع

ذلك أن البحث في الإنسان من ناحية ما هو عليه فذلك علم النفس .
ومن ناحية عصمة ذهنه عن الخطأ في التفكير يأتي علم المنطق . ومن ناحية
ما يجب أن يكون عليه الإنسان علم الأخلاق . ومن ناحية الشعور الذي
ينبعث عن الشيء الجميل يأتي علم الجمال .

ومن ناحية تنظيم السلوك ببيان ما يجب وما لا يجب ، والتفريق بين أنواع
القوانين المختلفة تأتي فلسفة القانون .

ومن ناحية المسائل التي تدور حول البحث في علاقة الأشخاص بعضهم
مع بعض يأتي علم الاجتماع وكذلك فلسفة التاريخ .

وعلى ذلك تكون منزلة علم الأخلاق من الفلسفة منزلة الجزء من الكل
فعلم الأخلاق جزء من الفلسفة الإنسانية والفلسفة الإنسانية جزء من
الفلسفة العامة .

أقف هنا لأقول: إن الفلسفة عند «سقراط» انحصرت في دائرة الأخلاق باعتبارها أهم ما يهتم به الإنسان ، وهذا معنى قول «شيشرون»^(١): إن سقراط استنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض أي أنه حول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس .

وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان . وكان السوفسطائيون يذهبون إلى أن الطبيعة الانسانية شهوة وهوى ، وأن القوانين وضعها المشرعون لقمع الطبيعة وأنها متغيرة بتغير العرف والظروف فهي نسبية غير واجبة الاحترام لذاتها

ومن حق الرجل القوى بالعصبة أو بالمال ، أو بالبأس ، أو بالدهاء ، أو بالجدل أن يستخف بها ، أو ينسخها ، ويجرى مع الطبيعة ، خاتم سقراط يقول : بل الإنسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره . والقوانين العادلة صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآله في قلوب البشر فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام والآلهي

وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله أذى في هذه الدنيا ، ولكنه مأخوذ بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة^(٢)

(١) فيلسوف روماني ولد في سنة ١٠٦ ق . م وتوفي في سنة ٤٣ ق . م درس الفلسفة في « أثينا » وكان مذهبه في الفلسفة يقوم على احتمال المشقات واقتحام الأخطار والصبر في الحزن والآلام حتى الموت .

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية للأستاذ يوسف كرم ص ٦٧ ، ٦٨

وإذا كانت الفلسفة قد اتخذت لنفسها هذه الموضوعات المتقدمة
أو هي بعبارة أخرى تنقسم باعتبار موضوعها إلى هذه الأقسام الثلاثة
— فلسفة ما وراء الطبيعة ، والفلسفة الطبيعية ، والفلسفة الإنسانية — فإنها
باعتبار الغاية منها تنقسم إلى قسمين اثنين فقط : —

١ — فلسفة فظرية غايتها الحق .

٢ — وفلسفة عملية غايتها الخير .

وكانت الفلسفة قديماً تشمل جميع المعارف الإنسانية فكانت كل العلوم
من ألفها إلى يائها تدخل في دائرة الفلسفة ، واستمر الأمر على هذا النحو
حتى استقل العلم عن الفلسفة في القرن الثامن عشر ، وإن كان العلماء
قد نزعوا إلى فصله ابتداء من القرن السابع عشر .

وأول من استخدم كلمة علم بمعناها التجريبي الراهن أكاديمية العلوم
الفرنسية في فرنسا أنشئت عام (١٦٦٦) . وفي إنجلترا المجمع البريطاني لتقدم
العلوم أنشئ عام (١٨٣١) ^(١) .

ولما أخذ العلم يستقل عن الفلسفة نشأت خصومة أو تجددت بين العلماء
والفلاسفة ، أو بين العلم والفلسفة ، فقد اعترى العلماء بمنهجهم ، واستخفوا بكل
ما لا يتخذ التجربة منهاجاً له ، واستخفت الفلسفة بالعلم ، أو استخف الفلاسفة
بالعلماء لماديتهم ، ولعجزهم ، أو استخفاهم بستان الفلسفة ذلك البستان الذي
يرتاض فيه العقل ، ونعوا عليهم تقديسهم المُسرف للمادية والماديات .

(١) أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل

حتى قال « فولتير »^(١) : « إن علم ما بعد الطبيعة بستان يرتاض فيه العقل ،
وإنه لآلذ من علم الهندسة ، فلا تعاني فيه ما تعانيه فيها من الحساب والقياس
بل فيه نحلهم حلماً لذيذاً » .

وبينما نسمع هذا . نسمع « بنختر »^(٢) يقول :

بينما نرى علم النفس ، والمنطق ، وعلم الجمال ، والأخلاق ، وفلسفة القانون ،
وتاريخ الفلسفة تستحق البقاء ، وينبغي أن يدرسها العقل البشري ، إذ نرى
فلسفة ما بعد الطبيعة عملاً مستحيلاً حتى قال في مؤلفه المسمى « بجانب قرن
يُختصر » : « علم الطبيعة يجب أن يُترك ويُعد من سقط المتاع » .

وكان « كانت »^(٣) يقول : « إن عقل الإنسان مركب تركيباً يؤسف له ،
فأنه مع شغفه بالبحث في مسائل لا تدركها حواسنا لم يستطع أن يكشف
معمياتها »^(٤) .

وكان « ولیم جیمس »^(٥) يقول : « إن الفيلسوف « الميتافيزيقي » يشبه

(١) (١٦٩٤ - ١٧٧٨) فيلسوف وشاعر فرنسي وله شهرة فائقة في الادب
والروايات التمثيلية ، وكان لكتابات « أثر كبير في أفكار الاوربيين .

(٢) فيلسوف مادي وطبيب ألماني (١٨٢٤ - ١٨٩٩) وهو من اتباع دارون .
٣ — هو « عما نويل كانت » من أشهر فلاسفة الألمان « ١٧٢٤ - ١٨٠٤ »
مؤسس فلسفة « النقد » وكان يعيش عيشة منظمة أدق نظام حتى كان أهل قريته
يضبطون ساعاتهم على خروجه من بيته .

٤ — مبادئ الفلسفة تأليف « ا . س رابوبرت » ترجمة الدكتور أحمد أمين .

٥ — فيلسوف أمريكي ١٨٤٢ - ١٩١٠ . وله محاضرات قيمة ألقاها في —

الأعمى الذى يبحث فى حجرة مظلمة عن قطعة سوداء لا وجود لها .
ويقول « بـكـنـل^(١) » فى كتابه « المدنية فى انجلترا » : « إن كل باحث
فى علم « ما بعد الطبيعة » إنما يبحث فى أعمال عقله ، ولم يكن من وراء ذلك
البحث استكشاف فى أى فرع من فروع العلم » .

ولكن يظهر على الرغم من كل هذا أن المسألة كما يقول « شـو بـنـهـور^(٢) »
حيثما يوجد الناس توجد مسائل ما بعد الطبيعة » .

إذا كنا نفهم من هذا أن العلماء والفلاسفة قد نزلوا ميداناً كل فيه

== جامعة « أدنبره » وفى جامعة « أكسفورد » وكان يتبع الواقع المحسوس فى كل
أبحاثه . ومن كتبه « الرغبة فى الاعتقاد » وكتاب « خلود الإنسانية » وله
محاضرات سماها « حديث إلى المعلمين »

١ — هو « هنرى تومس بـكـل » مؤرخ إنكليزى كان فى القرن التاسع عشر وله
فى مدينة « لى » مقاطعة « كنت » وتوفى فى دمشق . وكان أبوه تاجراً غنياً .
ونظراً لضعف صحته لم يمض وقتاً طويلاً فى المدرسة ، ولم يدخل الجامعة ، ولكن
حب القراءة تيقظ عنده فى أيامه الأولى . وكان لديه الوسائل التى تمكنه من القراءة
زار مصر فى آخر أيامه ، وكان الحافز له على زيارته للشرق أن يغزى أفكاره من
الوجهة الروحية والإنسانية عدا الاستجمام وتحسين الصحة .

٢ — فيلسوف ألماني ١٧٨٨ - ١٨٦٠ . مؤسس فلسفة التشاؤم كان يرى
أن هذا العالم شر ، وأن مافيه من الآلام تفوق مافيه من اللذائذ ، وأن السعادة
إنما تكون بالزهد وقمع الشهوات وبالحياة الفكرية ، وأن الشيء الأساسى
فينا هو الإرادة .

يُنتصر لما يهوى ، فالتقد انقسم الفلاسفة أنفسهم على بعض حتى سمعنا منهم من يُسفه أحلام من بيعت في فلسفة « ما وراء الطبيعة » فكانوا عليها مع العلماء .

وبهذه المناسبة أقول ، أو أروى ما يقولون : إن هذه الفلسفة - ما وراء الطبيعة - لم تنل في إنجلترا حظاً وافراً ، ولم يشتغل بها منهم إلا القليل أشهرهم « بركلي »^(١) .

ولعل تسمية « إنجلترا » بأرض الذوق الفطري نشأت من ها هنا . فيعتنون بالذوق الفطري الذوق الذي يشترك فيه الناس جميعهم ، عاديتهم وفيلسوفهم .

وإذا كان العلم قد استتقل عن أمه الرعوم الفلسفة فما الفرق بين العلم والفلسفة ؟ وماذا تبقى للفلسفة بعد أن استقل عنها العلم ؟

التفرقة بين مدلول كلمة « علم » ومدلول كلمة « فلسفة » حديثة العهد ، ولم تستقل كل كلمة بمدلول خاص بها إلا حين أخذ العلم يطلب أن يستقل عن الفلسفة ، أو حتى أخذ رواد البحث التجريبي يطالبون بالكشف عن أسرار الطبيعة عن طريق المشاهدة ولما نعدت المشاهدة اخترعت الآلات والأجهزة التي تذكره الطبيعة على أن تكشف أسرارها .

وكان ذلك على أيدي نسخة ممتازة من أساطين العلماء منهم الفيلسوف الانجليزي « فرنسيس بيكون » (١٥٦١ - ١٦٢٦) فهو الذي وضع أساس

(١) هو جورج بركلي (١٦٨٥ - ١٧٥٣) أسقف وفيلسوف انجليزي ذهب إلا أنه لا وجود للمادة وليس إلا العقل والروح .

المنهج التجريبي الحديث فهم بذلك لاستقلال العلم عن الفلسفة ، ويعد مؤسس الفلسفة التجريبية . ويقول بضرورة تطبيق مبدئه على علم الأخلاق والسياسة ، ويُسلح « يسكون » في طلب الملاحظة ودقة النظر والتجربة ، وأن النتائج يجب أن يتوصل إليها من الاستقراء والعناية بالمعلومات وترتيبها .

وخلاصة القول بعد هذا في الفرق بين الفلسفة والعلم أن أحص خصائص الفلسفة « التجريد » أي أنها تحاول ما استطاعت ألا تربط الفكرة المعنية بجسم من الأجسام . أما العلم فإنه يلجأ إلى المادة يستعين بها على تصوير ما يريد .

والفلسفة تنظر إلى العالم كله كوحدة مترابطة متماسكة ، والعلم يأخذ جانباً من الكون دون جانب .

والفلسفة لا تسلم بصحة مبدأ ، أو فكرة إلا إذا ثبت لديها ثبوتاً لا يدع مجالاً للريب والشك (١)

وإذا كان العالم قد ثار في وجه الفلسفة يريد أن يرفض حمايتها وأن يستقل عنها استقلالاً تاماً فإن الفلسفة لم تتأخر عن موازرتة على خدمة القضية المشتركة وهي : قضية العلم بحقيقة الأشياء .

ولقد تبقى للفلسفة بعد أن استقل عنها العلم ثلاثة ميادين رئيسية هي :

١ - الوجود .

٢ - المعرفة .

٣ - القيم .

(١) المصدر السابق .

أما الميدان الأول فيعرض للنظر في طبيعة الوجود على الإطلاق مجرداً من كل تعيين أو تحديد . فمثلاً العلوم الطبيعية تبحث في الوجود ولكن من حيث هو جسم متغير . والعلوم الرياضية تبحث في الوجود ولكن من حيث هو كم ، أو مقدار أما البحث في الوجود من حيث هو وجود على الإطلاق فن شأن الفلسفة . فهي من هذه الناحية تبحث عن العلة الأولى الموجدة لهذا الكون أو بلغة الدين عن « الله » ، وفي صفات هذا الإله ، وعلاقته بمخلوقاته ، وفيما إذا كان هذا الوجود مادياً صرفاً ، أو روحياً خالصاً . أو مزاجاً منهما . إلى غير ذلك من مباحث هذا الميدان .

وأما نظرية المعرفة ، أو النظر في مطلق العلم فيقصد به البحث في أصل المعرفة ، وما هيته ، وحدودها ، ودرجة اليقين فيها . وتتساءل هل في وسع العقل البشرى أن يدرك الحقائق ؟

وإذا كان في وسعه فما حدود هذه المعرفة ؟ أهى احتمالية ترجيحية ، أم أنها تتجاوز مرتبة الإحتمال إلى درجة اليقين ؟ ثم ما هى منابع هذه المعرفة ؟ وما أدواتها ؟ أهى العقل ، أم الحس ، أم الحدس ؟ ثم ما هى هذه المعرفة وحقيقتها ؟ وما علاقة الأشياء المدركة بالقوى التى تدركها ؟ إلى آخر ما يبحثه هذا الميدان .

أما الميدان الثالث ، أو مبحث القيم فيعرض للبحث في المثل العليا ، أو القيم المطلقة وهى : الحق . والخير . والجمال . من حيث ذاتها لا باعتبارها وسائل إلى تحقيق غايات . فيسأل : هل هى مجرد معان فى العقل تقوم بها الأشياء ؟ أو أن لها وجوداً مستقلاً عن العقل الذى يدركها إلى غير هذا

من مباحث يتضمنها علم المنطق ، وعلم الأخلاق ، وعلم الجمال ومن هذه
المباحث الثلاثة : الوجود . والمعرفة . والقيم بمختلف فروعها يأتلف
موضوع الفلسفة الرئيسى عند جبهة الفلاسفة (١) .

وإذا كنا قد عرفنا مكانة علم الأخلاق من الفلسفة ، وأنها مكانة الجزء
من الكل . ذلك لأن علم الأخلاق جزء من الفلسفة الإنسانية هذه الفلسفة
التي هي جزء من محيط الفلسفة بمعناها العام إذا كنا قد عرفنا هذا فمن الحسن
أن نعرف شيئاً عن صلة علم الأخلاق بغيره من علوم هذه الفلسفة الإنسانية

(١) أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل ومبادئ الفلسفة تأليف « أنفيلد
كوليه » ترجمة أبو العلا عفيفي .

صداة علم النفس بعلم النفس :

يقول « بارتلى » سانهيلر فى مقدمه كتاب الأخلاق لأرسطو طاليس
ترجمة عميد الفلسفة فى الشرق أستاذنا احمد لطفى السيد : « بدون المشاهدة
« السيكولوجية » لا يتحقق علم الأخلاق ، أو يكون علماً تجكياً .
« وتفسير ذلك أن علم النفس يبحث عن جميع القوى التى تلعب أهم الأدوار
فى السلوك الإنسانى فهو يبحث مثلاً عن الضمير . والارادة ، والذاكرة ،
والحافضة . والإدراك ، والوهم ، والتأويل ، والفهم إلى غير ذلك مما فى الإنسان
من إحساسات ، وعواطف ، وانفعالات . وكل هذه أفعال نفسية ، أو هى
أفعال عقلية تحرك الإنسان لأن يقول ، أو يعمل على مسرح هذه الحياة ،
ولما كان علم الأخلاق يتخذ لنفسه موضوعاً هو أفعال الإنسان العاقل الحر
المختار كما قد عرفت فى موضوعه ما كان لنا أن نحكم على إنسان حكماً
أخلاقياً من غير أن ندخل هذه الأشياء فى اعتبارنا . وإلا كان ذلك من
حكماً لا يقبله عقل .

فعلم النفس إذن مقدمة ضرورية لا بد منها لدارس علم الأخلاق ،
ولذلك ترى من تكلموا ، أو ألفوا فى الأخلاق تراهم يقدمون لذلك
بالكلام فى النفس فتزى الغزالي مثلاً يؤلف كتابه « معارج القدس فى
مدارج معرفة النفس » يقدمه لطلاب الأخلاق .
ونرى كذلك « أرسطو » يؤلف كتاب النفس وهو كتاب نقله إلى العربية
اسحاق بن حنين (١) .

(١) تصدير أستاذنا احمد لطفى السيد لكتاب الأخلاق لأرسطو طاليس

والشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته : « تقسيم الحكمة » يمد العلم بالنفس الإنسانية من الفلسفة النظرية . والأخلاق كما تقدم منها قسم نظري وقسم عملي على أنه إذا كانت قوانين الأخلاق قد وضعت ليكشف الإنسان سلوكه على مقتضاها فكيف يتم ذلك من غير أن يُعرف الإنسان نفسه « وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب » .

نعم نسمع مثل « كنت » وهو أكبر أخلاق في الأزمان الأخيره يرفض أن يعتمد علم الأخلاق على علم النفس : وحجته في ذلك أن علم النفس علم يعتمد على التجربة ، والتجربة قد تثبت اليوم غير ما أنت بالأمس ، ومبادئ الأخلاق ثابتة صالحة لكل زمان ومكان ، فهي لا تكون اليوم غيرها بالأمس كما هي الحال في مثل العلوم التجريبية .

وإذا كان « كنت » يرفض أن يعتمد علم الأخلاق على علم النفس التجريبي « أو العلى » فإنه - لا هو ولا غيره - يرفض الصلة بين علم الأخلاق وعلم النفس الفلسفي : ذلك الذي يدرس الأسس المنطقية التي يعتمد عليها علم النفس التجريبي .

مثلا . يقصد علم النفس التجريبي إلى الوصول إلى مقياس خارجي تقاس به الظواهر النفسية . أما معنى قياس هذه الظواهر النفسية ، ثم معنى طرق التحليل والتركيب فيها فذلك وظيفة علم النفس الفلسفي . ومعنى ذلك أن علم النفس الفلسفي يبحث في الفروض والمبادئ التي يستند إليها علم النفس العلى . وعلى أن علم النفس يلتقي بعلم الأخلاق من ناحية أن كلا منهما يبحث الإنسان من ناحيته النفسية : علم الأخلاق من ناحية ما يجب أن يكون عليه الإنسان ، وعلم النفس من ناحية ما هو عليه بالفعل .

صداة الأصدقاء بالمنطق :

أولاً نتساءل

هل علم المنطق من العلوم المعيارية ؟ يعنى أن مهمته أن يضع القواعد والقوانين التى يجب أن يفكر الإنسان على مقتضاها ليصمم ذهنه من الخطأ فى التفكير .

أو هل هو من العلوم الوصفية ؟ أى أن مهمته أن يصف التفكير العلمى على ما هو عليه .

إن قلنا : إنه من العلوم المعيارية فهو قوى الصلة بعلم الأخلاق يتصل به من ناحيتين اثنتين : —

الأولى : أنه وعلم الأخلاق من العلوم المعيارية : علم الأخلاق يضع القوانين التى يكتف الإنسان سلوكه ، أو ينبغى أن يكتف سلوكه على مقتضاها . وعلم المنطق يضع القوانين التى ينبغى أن يفكر الإنسان على منوالها .

الثانية : أن كلا منهما يبحث فى الإنسان من الناحية النفسية . كل من جهة : هذا من ناحية سلوكه . وهذا من ناحية تفكيره .

وإن قلنا : إن علم المنطق من العلوم الوصفية ، فهو يتصل بالأخلاق من هذه الناحية الثانية ، وكفى بها صلة ونسباً .

لكن . هل يتصل المنطق بالأخلاق من تلك الناحية الحية - إن صححت هذه التسمية - وهى أن التفكير المنطقى يخلق منك رجلاً على سلوك طيب بالفعل ؟ .

واقع الأمر على مسرح هذه الحياة أنك قد تكون أقرب الناس

إلى التفكير المنطقي ، أو أعلمهم في هذه الناحية وأبعدهم عن سلوك الأختيار .
وإذا كان المنطق أكثر العلوم الفلسفية نضجاً وتقدماً ، وأنه العلم
الذي يبحث في التفكير الصحيح الذي يأتي مطابقاً لمبادئ العقل البديهية .
إذا كان ذلك كذلك فهل لي أن أطمع في أن أرى طلاب المنطق أقرب
الناس إلى سلوك يدل على أنهم يفكرون تفكيراً منطقياً ؟ !!!
وإذا كان المنطق مفتاح الفلسفة على معنى أن الذي لا يعرف المنطق
لا يعرف الفلسفة ، فأني أضرم إلى ذلك أن الذي يفكر التفكير المنطقي ،
ولا يظهر ذلك على سلوكه بالفعل فليس من المنطق في شيء .

النصم بين العلم والأفهام والعلم الجمال :

علم الأخلاق ، وعلم الجمال أولا دعم على معنى أنهما يجمعهما نسب واحد ، وهو أن كلا منهما يتخذ لنفسه هدفا هو الإنسان : فعلم الأخلاق يبحث في الإنسان من ناحية ما يجب أن يكون عليه في سلوكه الخاص والعام وعلم الجمال يبحث في الإنسان من ناحية اللذائذ التي تبعثها مناظر الأشياء الجميلة في الإنسان .

فأنت حينما ترى النجوم التي لا عداد لها سابحة في الفضاء ، منشورة نثر الرمال في الصحراء ، أو حينما ترى شروق الشمس ، أو غروبها على سطح الماء . أو ترى وردة تشرق على الحشائش ، والأعشاب ، حينما ترى هذا ، أو ما يشبه هذا تشعر بسرور يشرح صدرك ، وقوة تجرى في أوصالك ، واطمئنان يغمر جوانب نفسك التي كانت من قبل حائرة « قلقة » مضطربة .

وهذا هو ما دعا المسيو « ليج »^(١) إلى أن يقول :

لا شيء يشد العزائم ، ويقوى الهمم ، ويهذب الطبع ، وينقى النفس مثل النظر الصحيح إلى مظاهر الطبيعة ، والتأمل في دقائق التحف الفنية ، والطرف الأثرية ، إذ ينبعث منها ما يشعر بالعظمة ، والقدرة التي تباعد بين الإنسان وبين الغرائز السافلة ، وتشير في صدره الطموح إلى المعالي ، والنزوع إلى الكمال .

(١) كان وزيرا للمعارف الفرنسية في أوائل هذا القرن تقريبا .

وهو الذى دعا أيضا « دارون » ^(١) إلى أن يقول :
إن عدم العمل على تذوق الحسن ، وإهمال تربية عاطفة الجمال لهو
فقدان السعادة ذاتها ، على أن ذلك الإهمال يُسَخِّمُ شعلة الذكاء ، ويضر
ضرراً بليغاً بالأخلاق » ^(٢)

نعم إن إهمال تذوق الجمال يضر ضرراً بليغاً بالأخلاق ، فالذى
لا يذوق طعم الجمال يندُر أن يذوق طعم الفضيلة .

ومن هنا نفهم السر في « أن القرآن الكريم يجعل « التأمل » فى الكون
من « التقوى » فيقول : « إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمَا خَلَقَ اللَّهُ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » ^(٣)
بل إنه ليجعل « التأمل » من أقوى أسباب « الإيمان » فيقول :

١ - هو « شارلز روبرت دارون » أكبر عالم طبيعى جاد به القرن التاسع عشر
ولد فى سنة ١٨٠٩ - وتوفى فى سنة ١٨٨٢ . وضع النظريات الحديثة التى بنى عليها
العلماء مبادئهم فى علوم الاجتماع ، والنفس ، والحيوان ، والنبات . . وكشف عن
سفن النشوء ، وأصل الأنواع . وكان يقول : بأن التعليم النظامى لا يؤثر فى عقل
الإنسان وملكاته إلا تأثيراً عرضياً وإن الصفات التى يتصف بها المرء فطرية موروثية
وأن تأثير التهذيب الكسبى فيها قليل . وكان مقتنعاً بأن نجاحه العلمى ينحصر فى
حبه الفطرى للعلوم الطبيعية ، وصبره ، وطول أماته ، ونظره فى التأمل فى كل
موضوع باقى إليه .

٢ - من كتاب « فى التربية والتعليم » لأستاذنا الجليل أحمد فهمى العمروسى .
(٣) سورة « يونس » آية « ٦ » .

وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُنَاشِبِهِ ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

وإذا كان القرآن الكريم يلفتك إلى ما في هذا الكون من جمال ، وما في مشاهد الطبيعة من آيات بينات ، فليس لذلك من معنى إلا أنه يريد أن يشعرك بما لخالق هذا الكون من « قدرة » .

وهل هناك من باعث يبعثك إلى الخير أكثر من هذا ؟
إن من يقرأ في القصص اليونانية القديمة قصة « بوتاد » وابنته عن نشأة الرسم والحاجة لاختراعه ليعلم قوة الصلة بين الأخلاق والجمال ، وما هي ذى القصة تربك أن أساس الفن الجميل « الحب » .

كان لـ « بوتاد » اليوناني ابنة عزيزة عليه ، قد شغفت حباً بشاب من قومها ، وبعد فترة من الزمن اضطر إلى السفر ، فشق على الفتاة غياب حبيبها عنها ، فأخذت تفكر فيما تصنع ، وتحتال في الوصول إلى ما يحفظ صورته لديها للالتئاس بها مدة غيابه ، فرأته يوماً نائماً ، وظل وجهه ساقط على جدار قريب منه ، فمضت ، وخططت هذا الظل على الجدار ، ولما جاء أبوها أعجب بهذه الفكرة ، ورأى أن يجعله بارزاً ففعل .

فكان « بوتاد » وابنته أول من اخترع الرسم العادي والبارز .
وإذا كانت المشاهدة ، وإنعام النظر في صفحة هذا الكون ، وإدراك

ما فيها من أسرار ، وجمال هي الدعامة الكبرى التي يقوم عليها صرح التربية والتعليم الآن فان القرآن الكريم يجعل هذه المشاهدة من « النقيض » ومن أقوى أسباب « الإيمان » ليرسي هذه « الدعامة » من قبل أن يقوم صرح « التربية والتعليم » على الأسس النفسية .

وإذا كان الآباء القساة في الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم قتلا حقيقياً :
« وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ كُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ » ، فإننا نقتل أولادنا قتلا معنوياً إذا نحن لم نعوذهم على أن يقرأوا في كتاب الكون ، أو إذا نحن لم نربط أخلاقهم بما في الكون من جمال .

ومن الكلمات المأثورة في هذا الباب لأستاذنا الجليل أحمد لطفي السيد له : « أحبوا الجمال تحبوا الحياة » .

ولنه ليشرح هذه الكلمة فيقول بما يقول : « غرض الموسيقى يتناول تنبيه كل خاطر من خواطرك ، وإنماء كل عاطفة من العواطف : يتناول إنماء الأنفة والعزة ، ويتناول إنماء عاطفة الرحمة عند القوة ، والعفو عند المقدرة .

نعم . فلأخلاق أبواب يدخل منها من يشاء إلى ما يشاء ، والجمال باب من هذه الأبواب ، بل هو أهم باب في هذه الأبواب . يُؤَلِّد المحبة ، أو هو مدخل إلى المحبة ، وسبب يتوصل به نحوها فالأعضاء الحساسة مسالك إلى النفوس ، ومؤديات نحوها .

وليس الحواس وحدها تكفي في إدراك الجمال ، بل لابد معها من العقل ، فالحواس وحدها تستطيع أن تدرك الحركات ، والأشكال ،

والأصوات ، والألوان على انفرادها ، ولكن لابد معها من الفكر ،
والشعور ليربطها ببعضها ببعض ، ويُكوّننا منها مجموعة واحدة متناسقة
الأجزاء . وهذا أيضا يختلف الإنسان عن الحيوان . فالحيوان يستطيع أن
يدرك ألوان الصور ، ولكن لا يدرك ما يدل عليه ذلك من عواطف .

هذا هو السر في أنك ترى إنساناً يدرك الجمال بسرعة ، ويفهمه في
الطبيعة والصناعة ، وفي تناسق الأصوات والصور ، على حين أنك ترى
الآخر لا يأبه لكل هذا .

والقوة التي بها نُميز الجمال ، ونُقومه هي التي نسميها بالذوق ، وهي
ملسكة في الإنسان بها يشعر بلذة الجمال . مُنحها الناس على تفاوت فيما بينهم .
فيها التهذيب ، والمدنية في الفرد والمجتمع إلى درجات متفاوتة .

لكن . بماذا تقوى ملسكة الذوق وبماذا تضعف ؟

يقول ، نيتشه : « كل ما كان قبيحاً يُضعف الإنسان ويقبض صدره
إذ يذكره بالانحطاط والخطر والوهن » .

ويقول الأستاذ « رابورث » صاحب كتاب « مبادئ الفلسفة » الذي
ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الدكتور أحمد أمين يقول : إن الجميل تراح
لله النفس ، وينشرح له الصدر أما القبيح فينشأ عنه شعور بألم أو نفور .

ويقول أستاذنا أحمد لطفي السيد : « يجب صرف الطفل من صغره إلى
تعلم « الجمال » وذلك بأن يلفت الأستاذ نظره دائماً إلى جمال الطبيعة الحسية ،
فإن ذلك يوحى إلى نفسه أن تتعلق بحب الجمال ، فإذا نمت هذه الملسكة -
ملسكة حب الجمال - نمت معها ملسكة التمييز بين الجميل وغير الجميل . ملسكة

التفريق والتفضيل . ملكة الذوق السليم . كما يجب على الأم أن تعلم ابنها وابتها بالجمال . وتسمى فيهم عادة حب الأزهار . . . ثم يقول : إننا إذا ربينا في أبنائنا ملكة الذوق في المحسوسات أو شكنا أن نكسب من غير عناء ترقية ملكة الذوق في المنويات ، وحصانا على قسم كبير من المشابهات بين الأفراد ، فعلى المشابهات يبنى « التضامن » وعلى التضامن تبنى قوة الرأي العام . وعلى قوة الرأي العام يتوقف كل نجاح اجتماعي وسياسي^(١) .

وإذا كانت النفس تضعف برؤية الشيء « القبيح » وتقوى بمشاهدة جمال الطبيعة ، وبحب الأزهار ، فإنها لتقوى أيضاً بكثرة الالتفات لما يقع منها ومحاسبتها عليه .

إن كثرة الالتفات لما يقع من النفس ، ومحاسبتها عليه مدخل إلى « الذوق السليم » وفيه « جمال خلقي » تراح النفس إليه .

إن الجمال والحب مثلهما كمثل الضفتين للنهر الواحد ، فإذا وقفت على إحدى الضفتين رأيت الأخرى ، والشرق كما يقول أستاذنا « أحمد أمين » « ينقصه الحب » : حب الوطن ، وحب النظام ، والنظافة ، والعمل . وحب كل شيء على وجه العموم .

« وبعد » فإننا في حاجة ماسة إلى مجتمع يذوق أفراد طعم ما يقع حوالهم من حوادث لا كما يذوق المحموم طعم الطعام ، بل كما يذوقها السليم ولا سبيل إلى ذلك إلا بلفتهم إلى الجمال يدركونه ، ويتذوقونه ، ويعشقونه .

(١) النتائج ح « ١ » ص « ٦٠ » .

ولإني بمناسبة الكلام على صلة الأخلاق بعلم الجمال ، ودعوة القارىء إلى « التأمل » هذا الذى يدعو إليه الإسلام بأن جعله مرة من « التقوى » ومرة من أسباب « الإيمان » إلى آخر ما ورد فى القرآن الكريم بشأنه .

هذا التأمل الذى يجعل فضيلته أحد أساندة الأخلاق الأكرمين « أرسطوطاليس » . أرقى من الفضيلة الأخلاقية . بهذه المناسبة أقدم للقارىء قصيدة فى باب « التأمل » للشاعر الفحل « معروف الرصافى » فإنها « مدخل » يوصلك إلى أن تقرأ كتاب الكون ، وفيها فوق ذلك عبرة وعظة ، وفيها راحة ، واطمئنان ، وفيها جمال وجلال يهد لك الطريق إلى هذه « العبادة » عبادة التأمل والتفكير .

ورحم الله « أبا الدرداء » ذلك العارف المتفكر ، فقد سئلت عنه أم الدرداء . ما كان أفضل عمله ؟ فقالت : « التفكير والاعتبار » .

وها هى ذى القصيدة :

العالم شعر

مشاهد من الطبيعة والمجتمع

قرأتُ ، وما غيرُ الطبيعة من سفرٍ
صحائفَ تحوى كلَّ فنٍّ من الشعرِ (١)
أرى غررَ الأشعار تبدو نضيدةً
على صفحات الكونِ سطرًا على سطرٍ (٢)

(١) السفر : الكتاب .

(٢) نضيدة : منسقة .

وما حادّثُ الدهرُ إلا قصائدُ
 يفوهُ بها للسامعينَ فَمُ الدهرُ
 وما المرءُ إلا بيتٌ شعِرَ عَرُوضُهُ
 مصائبُ ، لكنْ ضربه حُفْرَةُ القبرِ (١)
 تُنظِّمنا الأيامُ شعراً ، وإنما
 تردُّ المنايا ما نَظَّمْنَ إلى النثرِ (٢)
 فمنّا طويلٌ مُسَهَّبٌ بحرٌ عُمَرُه ،
 ومنّا قصيرٌ البحرُ مُختَصَرُ العُمُرِ (٣)
 وهذا مديحٌ صيغَ من أطيّبِ الثناء ،
 وذاك هجاءٌ صيغَ من منطِقِ هُجْرٍ (٤)

* * *

وربَّ نيامٍ في المقابرِ زُرْتُهُمْ
 بِمُنْهَلٍ دمعٍ لا يُنْهِنُهُ بالزّجرِ (٥)

-
- (١) العروض في علم الشعر : الجزء الأخير من الشطر الأول من البيت ، والضرب : الجزء الأخير من الشطر الثاني ، والمعنى أن الانسان أوله للمصائب وآخره للموت .
 (٢) النثر : التفريق
 (٣) مسهب طويل .
 (٤) الهجر : القبيح من الكلام .
 (٥) لا ينهته : لا يكف .

ووقفتُ على الأجداثِ وقفةَ عاشقٍ
 على الدارِ، يدعو دارسَ الطللِ القَفْبِرِ (١)
 فما سال فيضَ الدمعِ حتى قرَنَتْهُ
 إلى زفراتٍ قد تصاعدنَ من صدرى
 أسْكَنَ بطنِ الأرضِ، هلاّ ذكركمُ
 عهوداً مضت منكم ، وأنتم على الظَّهْرِ
 رضيتُم بأكفانِ البلى حُللاً لكم ،
 وكنتم أولى الديباجِ والحُللِ الحمرِ
 وقد كنتمُ تؤذِي الحشايا جُنوبكمُ ،
 فكيف رقدتم ، والجُنوبُ على العَفْرِ؟ (٢)
 ألا يا قُبوراً زرتُها غيرَ عارفٍ
 بها ساكنِ الصحراءِ من ساكنِ القصرِ
 لقد حارَ فكري في ذوبِك ، وإنَّه
 لَسِحتارُ في مَثوى ذوبِكِ أولوا الفسكِ (٣)
 فقلت ، وللأجداثِ كَفَى مشيرةً :
 ألا إن هذا الشعر من أجمع الشعرِ (٤)

(١) الأجداث : القبور . درس المسكان : أنمحي . الطلل : ما بقي من آثار الديار .

(٢) الحشايا : جمع حشية ، وهى الفراش المحشو . العفر : التراب .

(٣) المَثوى : المقام .

(٤) أجمع : أوجع .

وليلٍ غُدافيٍّ الجناحينِ بَيْتَهُ
 أَسَامِرُ فِي ظُلُمَاتِهِ وَقَعَ النَّسْرُ (١)
 وَأَقْلَعُ مِنْ سَفَنِ الْجِبَالِ مَرَاسِيَا ،
 فَتَجْرَى مِنَ الظُّلُمَاتِ فِي لُجَجٍ خُضْرٍ (٢)
 أَرَى الْقَبَّةَ الزَّرْقَاءَ فَوْقَ كَأَنَّهَا
 رِوَاقٍ مِنَ الدِّيَابِاجِ رُصَّعٍ بِالذَّرِّ (٣)
 وَلَوْلَا خُرُوقُهُ فِي الدَّجَى مِنْ نَجْوَمِهِ ،
 قَبَضْتُ عَلَى الظُّلُمَاتِ بِالْأَنَافِلِ الْعَشْرِ
 خَلِيلِي ، مَا أَبْهَى وَأَبْهَجَ فِي الرُّؤْيَى
 نَجُومًا بِأَجْوَاكِ الدَّجَى لَمْ تَزَلْ تَسْرَى (٤)
 إِذَا مَا نَجُومُ الْغَرْبِ لَيْلًا تَغَوَّرَتْ ،
 بَدَتْ أَنْجُمُهُ فِي الشَّرْقِ أُخْرَى عَلَى الْإِثْرِ (٥)
 تَجَوَّلْتُ ، مِنْ حُسْنِ الْكَوَاكِبِ فِي الدَّجَى ،
 وَقُبِحَ ظِلَامُ اللَّيْلِ ، فِي الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ (٦)

(١) غُدافي الجناحين : أسودها . النسْر : اسم لنجمين ، إحداهما يقال له النسْر الواقع ،
 والآخر يقال له النسْر الطائر .

(٢) خضر : سود ، يقال أخضر بمعنى أسود .

(٣) الرواق : سقف في مقدم البيت .

(٤) الرؤى : جمع رؤية . أجواز الدجى : أوساط الليل .

(٥) تغورت : غابت .

(٦) تجولت : كذا في الاصل ، ولم تذكر المعاجم هذه الصيغة .

إلى أن رأيتُ اللَّيْلَ ولست جنودُه
على الدَّهْمِ يَقْفُوا إثرَها الصُّبْحُ بالشُّقْرِ^(١)
فيا لك من ليلٍ قرأتُ بوجهه
نظيماً البَها في نثرٍ أنجمه الزَّهرُ
فقلتُ ، وطرفي شاخصٌ لنجومه :
ألا إنَّ هذا الشعر من أحسن الشعر !

* * *

ويومٍ به استيقظتُ من هجعةٍ الكرى
وقد قدَّ درعَ الليلِ صمصامةُ الفجرِ^(٢)
فأطربني ، والدَّيكِ مُشجٍ صياحه ،
ترنُّمُ عصفورٍ يزقزقُ في وكر
ومما ازدهى نفسي وزاد ارتياحها
هبوبُ نسيمٍ سَجَسَجٍ طيبِ النَّشرِ^(٣)

(١) الدهم : أى الخيول الدهم . يقفوا إثرها : يتبعها . الشقر : أى الخيول الشقر
والمراد : الظلمات وأشعة الشمس .

(٢) الهجعة : النوم . الكرى : النعاس . درع الليل : أى ظلمته . الصمصامة : السيف .
والمراد بصمصامة الفجر : ضياؤه .

(٣) ازدهى نفسي : استنفرها . ريح سجسج : لينة الهواء . النشر : الهواء .

فَقَمْتُ ، وَقَامَ النَّاسُ كُلٌّ لِشَأْنِهِ ،
كَأَنَّا حَاجِجٌ الْبَيْتِ فِي سَاعَةِ الْفَجْرِ (١)
وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ ، كَأَنَّهَا
مَلِيكَةٌ مِنَ الْأَضْوَاءِ فِي عَسْكَرٍ مَجْرٍ (٢)
بَدَتْ مِنْ وَرَاءِ الْآفَاقِ تَرْفُلٌ لِلْعُلَى ،
رُؤَيْدَا رُؤَيْدَا فِي غَلَائِلِهَا الْحَمْرِ (٣)
غَدَتْ تُرْسِلُ الْأَنْوَارَ ، حَتَّى كَأَنَّهَا
نُسَيْلٌ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى ذَائِبَ الثَّبَرِ (٤)
إِلَى أَنْ جَلَسَتْ فِي نَوْرِهَا رَوَاقُ الضُّحَى
صَقِيلًا ، وَفِي بَحْرِ الْفَضَاءِ غَدَتْ تَجْرَى
وَأَهْدَتْ حَيَاةً فِي الشَّمَاعِ جَدِيدَةً
إِلَى حَيَوَانِ الْأَرْضِ وَالنَّبَاتِ وَالزَّهْرِ
فَقُلْتُ ، مَشِيرًا نَحْوَهَا بِحَفَاوَةٍ :
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَبْدَعِ الشُّعْرِ !

(١) الْحَاجِجُ : الْحَاجُّ . الْبَيْتُ : أَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ فِي مَكَّةَ . الْفَجْرُ : انْدِفَاعُ الْحَاجِّاجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مَكَّةَ .

(٢) الْمَجْرُ : الْجَيْشُ الْعَظِيمُ .

(٣) تَرْفُلٌ : تَجَرُّ ذَيْلِهَا وَتَتَبَخَّرُ . غَلَائِلُهَا : جَمْعُ غَلَالَةٍ ، وَهِيَ شَعَارٌ يَلْبَسُ تَحْتَ الثَّوْبِ .

(٤) الثَّبَرُ : الذَّهَبُ .

ومائدةٍ نَسَجَ الدَّمَقْسُ غِطَاؤَهَا ،
 بِمَجْلِسِ شَبَّانٍ هُمْ أَنْجَمُ الْعَصْرِ (١)
 رَقَى مِنْ أَعَالِيهَا الْفُنُجْرَافُ مِنْبَرًا
 مُحَاطًا بِأَحْبَابِ غَطَارِفَةِ غُرٍّ (٢)
 وَفِي وَسْطِ النَّادَى سِرَاجٌ مُنَوَّرٌ ،
 فَتَحَسَّبَهُ بَدْرًا وَهُمْ هَالَةٌ الْبَدْرِ (٣)
 فَرَّاحٌ بِأَذْنِ الْعِلْمِ يُنْطِقُ مِقُولًا ،
 عَرَفْنَا بِهِ أَنَّ الْبَيَانَ مِنَ السَّحَرِ
 فَطَوْرًا خَطِيبًا يُحْزِنُ الْقَلْبَ وَعَظُهُ ،
 وَطَوْرًا يَسُرُّ السَّمْعَ بِالْعَزْفِ وَالزَّمْرِ
 يَفْوُهُ فَصِيحًا بِاللُّغَا ، وَهُوَ أَبْكَمُ ،
 وَيُسْمِعُ الْحَانَ الْغَنَّا ، وَهُوَ ذُو وَقَرٍّ (٤)
 أَمِينٌ أُنِيَ التَّدْلِيسَ فِي الْقَوْلِ حَاكِيًا ،
 فَتَسْمَعُهُ يَرَوِي الْحَدِيثَ كَمَا يَجْرِي (٥)

-
- (١) الدَّمَقْسُ : الديباج والحريز الأبيض .
 (٢) رَقَى : لغة في رَقَى . الْغَطَارِفَةُ : السَّادَةُ ،
 (٣) الْهَالَةُ : دَارَةُ الْقَمَرِ .
 (٤) اللُّغَا : اللِّغَاتُ ، وَهِيَ جَمْعُ لَفَةٍ . الْوَقَرُ : الصَّعْمُ .
 (٥) التَّدْلِيسُ فِي الْحَدِيثِ : هُوَ أَنْ لَا يَذْكُرَ الْمُحَدِّثُ فِي حَدِيثِهِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ ، وَيَذْكُرُ مَنْ
 هُوَ أَعْلَى مِنْ حَدِيثِهِ ، لِيُوَظَّهَرُ أَنَّهُ سَمِعَهُ مِنْهُ ، وَالْمَدْلَسُ لَا يَقْبَلُ حَدِيثَهُ .

- تراه ، إذا لَقَّيْتَهُ الْقَوْلَ ، حَافِظًا ،
تَمَرَّ اللَّيَالِي وَهُوَ مِنْهُ عَلِ ذُكْر (١)
فِيَاكَ مِنْ صُنْعٍ بِهِ كُلٌّ عَاقِلٌ
أَقَرُّ لَادِيسُونَ بِالْفَضْلِ وَالْفَخْرِ (٢)
فَقُلْتُ ، وَقَدْ تَمَّتْ شَقَاشِقُ هَذَرِهِ :
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَعْجَبِ الشَّعْرِ ! (٣)

- وَأَصِيدُ مَأْثُورِ الْمَكَارِمِ فِي الْوَرَى ،
يُرِيكَ ، إِذَا يَلْقَاكَ ، وَجْهَ قَتِيٍّ حُرٍّ (٤)
يُرُوحُ وَيَغْدُو فِي طِيَالِسَةِ الْغَنَى ،
وَتَقْضِي حَقُوقَ الْمَجْدِ مِنْ مَالِهِ الْوَفَرِ (٥)
تَخُونُهُ رَيْبُ الزَّمَانِ فَأُولِئِكَ
يَاخْلُقُهَا دِيْبَا جَتِيهِ يَدُ الْفَقْرِ (٦)

-
- (١) الذِّكْرُ : التذكُّر .
(٢) أَدِيسُونَ : مخترع « الفنِّعِراف » .
(٣) تَمَّتْ شَقَاشِقُ هَذَرِهِ : أَيْ سَكَتَ .
(٤) الْأَصِيدُ : الَّذِي بِهِ زَهْوٌ وَخِيَلَاءٌ .
(٥) طِيَالِسَةُ : جَمْعُ طِيلَسَاتٍ ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ النَّبَاتِ .
(٦) الْأَخْلَاقُ : مَصْدَرُ اخْلَقَ التَّوْبَةَ : أَبْلَاهُ . دِيْبَا جَتِيهِ : خَدِيهِ

فأصبح في طُرُقِ التَّصَلُّكِ حائراً ،
يجول من الإملاقِ في سَمَلِ طُمُرٍ ^(١)
كأنْ لم يَرُحْ في موكبِ العِزِّ راكباً
عَتَاقَ المذاكِ مالِكِ النَّهْيِ والأمرِ ^(٢)
ولم تزدِ حِمُّ صَيْدِ الرجالِ بِيابِه ،
ولم يَغْمُرِ العَافِينَ بالنَّائِلِ الغَمُرُ ^(٣)
فَظُلَّ كَثِيبَ النَّفْسِ يَنْظُرُ للغنى
بَعِينِ مُقِلٍّ كَانَ فِي عِيشَةِ الْمُثْرَى
إلى أَنْ قَضَى فِي عِلَّةِ اللُّعْدَمِ نَحْبَه ،
فَجَهَّزَهُ مِنْ مَالِهِم طَالِبُوا الأجرِ ^(٤)
فَرُمِحَتْ ، وَلَمْ يُحْفَلْ بِتَشْيِيعِ نَعْشِه ،
أُشِيعَ فِي حَامِلِيهِ إِلَى القَبْرِ
وَقُلْتُ ، وَأَيْدِي النَّاسِ تَحْشُو تَرَابَه :
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَجْعِ الشَّعْرِ ^(٥)

-
- (١) التَّصَلُّكُ : الافتقار . الإملاق : الفقر . سَمَلِ طُمُرٍ : ثوبٌ بال .
(٢) المذاكى : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها .
(٣) العافين : طالبي المعروف من ذوى الحاجة . النَّائِلِ الغمر : العطاء الكثير .
(٤) اللُّعْدَمُ : الفقر .
(٥) تَحْشُو تَرَابَه : تصبه .

ونائحة تبكي الغداة وحيدها
 بشجرٍ ، وقد نالت ظمأ يد القهر
 عزاه إلى إحدى الجنايات حاكم^(١)
 عليه قضى بطلا بها ، وهو لا يدرى^(٢)
 فويل له من حاكم صب قلبه
 من الجوز مطبوعاً على قالب الغدر
 من الروم ، أما وجهه فشوه
 وقاح ، وأما قلبه فمن الصخر
 أضر بعف الذيل ، حتى أمضه ،
 ولم يلتفت منه إلى واضح العذر
 تخطفه في نخب الجور غيلة ،
 فزج به من مظلم السجن في القعر
 تنوء به الأقياد إن رام نهضة ،
 فيشكو الأذى ، والدمع من عينه يجرى^(٣)
 تناديه ، والسجان يكثُر زجرها ،
 عجوز له من خلف عالية الجدر : (٣)

(١) عزاه : نسبته .

(٢) تنوء به : تثقله . الأقياد : جمع قيد .

(٣) الجدر : جمع جدار .

بُنِيَّ ، أَطْلُنُ السِّجْنَ مَسْكَ ضُرُّهُ ،
بُنِيَّ ، بِنَفْسِي مَا أَصَابَكَ مِنْ ضَرْبٍ
بُنِيَّ ، اسْتَعِزْ بِالصَّبْرِ ، مَا أَنْتَ جَانِيَا ،
وَهَلْ يَخْذُلُ اللَّهُ الْبَرِيءَ مِنَ الْوِزْرِ ؟ (١)
فَجِتْ أَعَاطِيهَا الْعَزَاءَ ، وَأَدْمُعِي
كَأَدْمُعِهَا تَسْهَلُ مِنِّي عَلَى النَّحْرِ
وَقُلْتُ ، وَقَدْ جَاشَتْ غَوَارِبُ عَمْرِقِي :
أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَقْتَلِ الشَّعْرِ (٢)

أَلَسْتُ تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِفْتَاحُ « التَّأَمُّلِ » .
وَمَا دَمْنَا قَدْ تَكَلَّمْنَا عَنْ تَقْوِيمِ الْأَخْلَاقِ عَنْ طَرِيقِ الْعَنَافَةِ بِالرِّيَاضَةِ
« التَّأَمُّلِيَّةِ » ، وَ « الْحَدِيثِ ذُو شَجَوْنِ » .
فَلْنَرُدِّهَا بِكَلِمَةٍ عَنْ تَقْوِيمِ الْأَخْلَاقِ عَنْ طَرِيقِ الْعَنَافَةِ بِالرِّيَاضَةِ الْبَدَنِيَّةِ

(١) الْوِزْرُ : الذَّنْبُ .
(٢) جَاشَتْ : فَاضَتْ . غَوَارِبُ الْمَاءِ : أَعَالِيهِ . الْعَبْرَةُ : الدَّمْعَةُ .

تقويم الأفعوى عن طريق العناية بالرياضة البدنية

وظيفة الرياضة في الحياة العامة .

الرياضة في نظر الإسلام .

كيف تستفيد منها الأخلاق .

المثل الأعلى للفرد إنسان قوى : في خلقه ، قوى في علمه ، قوى في

جسمه .

ويجب أن تكون هذه القوى الثلاث منسجمة مع بعضها أى أن
« تسير متوازية ، بحيث لا تطفئ منها قوة على أخرى .

والاسلام يدعو إلى أن يُكْمَل كلُّ نفسه من هذه النواحي جميعها
يدعو إلى العلم بقوله سبحانه وتعالى : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ،
وبقوله : « وَيَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
دَرَجَاتٍ ، و : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ
لَا يَعْلَمُونَ ، و : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

ويدعو إلى الخلق العظيم بقوله : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، وبقوله
« الْخُلُقُ وعام الدين ، و : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ويدعو صلوات الله عليه إلى الرياضة البدنية فيروى البخارى أن

رسول الله مرّ على نفر من بنى أسلم ينتضلون - أى يترامون بالقسي للسبق والنضال - فأقبل عليهم قائلاً : ارموا بنى اسماعيل فإن أباكم كان رامياً . ارموا وأنا مع بنى فلان فأمسك الفريق الآخر عن الرمي فقال لهم : ما لكم لا ترمون ؟

فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ ١١ فقال : ارموا فأنا معكم كلكم . وفى هذا حث وتشجيع على الرياضة .

وأخرج مسلم عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال : « من تَعَلَّمَ الرميَ ثم تركه فليس منا ، أو قد عصى »

وقال : « ارمُوا واركبوا . وأن ترموا أحبّ إلى من أن تركبوا ، كلُّهُم باطل . ليس من اللهو محمودٌ إلا ثلاثٌ : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميُّه بقوسه ونسبته ، فأنهن من الحق ، ومن ترك الرمي بعد ما عليه رغبة عنه ، فأنها نعمة تركها ، أو قال كفرها .

ويروى ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلوات الله عليه سبق بين الخيل ، وفضل القرُح فى الغاية .

وبلغ من عنايته بهذا النوع من الرياضة ان وضع له نظاماً لجعل له أمدا معلوماً ، وأن تكون الخيل فيه متساوية الأحوال .

فأرسل الخيل المضمرة - أى المجموعة - أرسلها من الحَفِيَاء إلى ثنية الوداع على مسافة ستة أميال تقريباً .

وأرسل التى لم تضر من ثنية الوداع إلى مسجد بنى زريق ، وأمدها ميل أو نحوه . ولم يكن سبق قاصراً على الخيل وحدها فقد رموى عن

أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« لا سَبَقَ إِلَّا فِي خُفٍّ ، أو خَافِرٍ أو نَصْلٍ - المراد بالخف « الأبل »
وبالخافر « الخيل » وبالنصل « السهم » والسَبَقُ بفتح الباء الجُعْلُ ؛ وباسكانها
مصدر سبقت أسبق سَبَقًا .

ولست في حاجة إلى القول بأن ذلك السباق الذى شجعه النبي ، وأقيم
في عهده كان سباقاً رياضياً لم يدخله قمار كذلك الذى تراه اليوم . وإذا
كان النبي صلوات الله عليه يدعو إلى الرياضة البدنية فذلك لأنها تخلق
من الفرد إنساناً قوى الجسم ، مفتول العضل ، مهذب المشى ، والحركة .
وتخلق منه أيضاً ، أو من شأنها أن تخلق منه أيضاً إنساناً يدرك معنى التعاون
والاعتماد على النفس ، ويذوق طعم الهمة ، والنشاط ، والنظام ، ويتمتع
بحسن المنظر ، ويعرف كيف يحكم بين الناس بالقسط . ونجعل منه إنساناً مرحاً
لا تيأسه الهزيمة ، ولا يطغيه الظفر ، بل يتقدم إلى الفائز يصاحفه مهنتاً .

وإذا كنا ندعو إلى ذبوع الروح العلمى ، والأخلاقي ، فأنا في حاجة
ماسة إلى الروح الرياضى في البلاد . فالرياضى الحق هو الذى يعرف كيف
يبتسم حين يعتمد خصمه أن يخرجته عن طوره ، والرياضى الحق هو الذى
يتخذ التعاون سبيلاً للنجاح ، والرياضى الحق هو الذى ينسكرك ذاته ، وإذا
أهاب به الداعى تقدم ملياً النداء .

إن الأمم التى قطعت شوطاً بعيداً في الحضارة والمدنية قد مهدت لذلك
بالإكثار من الأندية الرياضية لتيسير الرياضة للشباب ، فالشباب الذى
يصرف أوقات فراغه في مقهى ، أو في غيره من الأماكن التى لا تعود
عليه بنفع يجد أمامه مجالا فسيحاً ميسراً فيها لمزاولة ما تهوى إليه نفسه .

وفي كثير من تكاليف الإسلام حركات رياضية تراها في الصلاة وفي بعض أعمال الحج .

فهل لي أن أدعو إلى الرياضة البدنية فنحن بها كما نغني بدور العلم والمستشفيات ؟

ومصر وإن كانت قد خطت في سبيل الرياضة البدنية خطوات مباركات إلا أن أملى مع ذلك أن أرى الأندية الرياضية يفتحها الأزهر لطلابه وأساتذته ، أو أرى أساتذة الأزهر وطلابه يفتحون الأندية الرياضية يمارسون فيها أنواع الرياضة البدنية .

إن النبي صلوات الله عليه كان يسابق عائشة رضي الله عنها في الجري فهل هناك ما يمنع من أن يسابق الأساتذة والطلاب بعضهم بعضاً في الجري ، وفي غيره من أنواع الرياضة لتزول « الرهبة » من الأستاذ ويحل محلها « الرغبة » فيه وفي الاستفادة من علومه ..

إن السير « روبرت بادن پاول » مؤسس فرق الكشف في العالم ، ومديرها العام ألقى خطبة في « مؤتمر التربية الخلقية » الدولي المنعقد في « جنيف » عام ١٩٢٢ . استهلم بأن قال : « إنه رأى في معبد شرقي لإلاها ذا ثلاثة رموس . الأول للحب . والثاني للبغض . والثالث للسلم . فسأل عن أعرافها للناس وأكثرها عباداً ؟

فقال له : إن معظم القرايين والنذر تقدم إلى إله البغض ، لا حباً فيه ، ولكن انتقاء له ، وزلني إليه ليدفع عنهم كيد الكائدين ، وحقد الخاقدين . ثم قال . يظن الإنسان - لأول وهلة - أن هؤلاء الناس أغبياء سخاف العقول الخضوعهم - إلى هذا الحد - لسلطان الخوف ، ولكنه إذا فكر

قليلا رأى أن الخوف يحتكم سلطانه في هذا العالم وتدير سطوته دولاب أعماله .
ألسنا للمحافظة على السلم نستعد للحرب خوفا من هجوم العدو ؟
ألسنا نخطب ، ونعظ لنشر السلام في العالم خشية هول الحروب
ومصائبها ؟ .

أليست حكومات العالم الراقية تعتمد إلى تمثيل جميع الطبقات فيها خوف
إغضب فئة خاصة وقيامها بتشريع خاص ؟ أليس ما يسمونه نظاماً في
الجيش البرية والبحرية قائماً في الغالب على رهبة العقاب والخوف منه ؟
أليس التخويف سلاحاً في يد الأقوياء يرهبون به الضعفاء وينزلونهم ؟
أليست عبارات التهديد والتخويف لا تزال متداولة حتى اليوم لصيانة
حقوق الأمم واحترامها ؟ أليس الخوف ديناً يدين به الكثيرون منا فلا
يعبدون الله ، ولا يؤمنون به لأنه يجب لذاته ، ويعبد لوجهه ، بل لأنهم
يخافون عقابه ويخشون عذابه ؟ ألسنا نسلك كثيراً سبيل الخير والفضيلة ،
ونترك طرق الشر والذيلة خوفاً من النتائج القانونية أو الوجدانية إذا
ظهرت أغلاطنا ، واتضح مساوينا ، لاحقاً في الخير ، وبغضاً للشر كما
كان ينبغي ويلزم ؟ أليس الخوف من الفقر هو الدافع بالإنسان لأن يسعى
ويعمل ليكسب المال ويحصل عليه ؟

إلى أن قال : إنا ما دمنا على هذه الحال ، وما دام الخوف - لا الواجب -
مستحوذاً على نفوسنا في جميع الأعمال فلن نستطيع تغيير البيئة غير الصالحة
التي نعيش فيها ، لأن الإنسان لا يستطيع تغيير حاله الاجتماعية إلا إذا غير
أحواله النفسية ، وأطواره الخلقية ^(١) ، **إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ،

(١) التربية والتعليم لأستاذنا أحمد فهمي العمروسي ص ٣٠٨

وعلى الجملة فن وسائل إحلال الحب محل الخوف الرياضية، فهل لنا أن نعى بها ؟
وتذكرنى كلمة رئيس فرق الكشف فى العالم هذه بكلمة لزين العابدين
على بن الحسين فقد كان يقول :

« إن قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد ، وآخرين عبدوه رغبة
فتلك عبادة التجار ، وقوما عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار .

وأذكر أنى فى سنة ١٩٤٦ - فى كتابى الأزهر بين الماضى والحاضر - (١)
اقترحت مما اقترحت لإصلاح الأزهر فتح أندية رياضية للطلاب، وأخرى
للأساتذة على أن يشترك فى هذه الأخيرة من الطلاب من اجتمعت فيه
شروط خاصة كالتفوق فى الألعاب الرياضية ، أو التفوق فى العلم. واقترحت
جعل الرياضة البدنية مادة من مواد الدراسة فى المعاهد .

وبهذه المناسبة أقول : إن الأزهر فيما مضى كان يعتبر الألعاب الرياضية
حدثاً لا يتفق وكرامة طالب العلم حتى أنى أذكر وأنا طالب فى السنة الأولى
من القسم الثانوى أنا قد اتفقنا بضعة أصدقاء على إنشاء ناد رياضى نمارس
فيه ألعاب الرياضة ، فلما علم بذلك شيخ القسم يومئذ رحمة الله عليه أحضرنا
وأخذ علينا تعهداً بالإقلاع عن هذه الفسكرة وإلا نزل بنا ما لا يحمد عقباه .

والتدريب العسكرى الآن حصة رسمية يشرف عليها أولو الأمر فى
الأزهر مما يدل على أن الفكر الأزهرى يخطو خطوات إلى الأمام .

وأنا على ثقة من أنه سيأتى اليوم الذى أرى ، أوبرى فيه غيرى الأندية
الرياضية لأساتذة الأزهر وطلابه يمارسون فيها مختلف الألعاب ، ورجائى
أن يكون ذلك قريباً .